المادة النحوية والآلية المنهجية في ألفيتي ابن معطي وابن مالك
من خلال مقارنة مائة بيت منهما

الدكتور محمد أحيد الشيخ سيدي محمد حميلي
قسم اللغة العربية كلية اللغة العربية وآدابها، جامعة العلوم الإسلامية بلعيون، لعيون
موريتانيا

ملخص البحث:

يندرج هذا العمل ضمن سلسلة من المقالات أعدها في المقارنة بين ألفيتي ابن معطي وابن مالك على مستويات مختلفة، وخصصت هذا المقال لمقارنة نصية بين المائة بيت الأولى من كل من الألفيتين، محاولا التعرف على المادة النحوية التي وردت فيهما، لأنها ستعطي دون شك صورة عن مستوى كثافة المادة النحوية في كل منهما، ومدى منهجة كلا الرجلين لنظمه وتقيده بما أفصح عنه من معايير في مقدمته، وكذلك اختياراته النحوية، وآليته في اختيار الشواهد والأمثلة إلى غير ذلك من أوجه التلاقي والاختلاف بين رائدي الألفيات النحوية.

الكلمات المفاتيح: ابن معطي، ابن مالك، مائة بيت، مقارنة . مادة نحوية.

يهدف هذا المقال ضمن ما يهدف إليه من معارف نظرية وتطبيقية إلى الإجابات على تساؤلات تتعلق بألفيتي ابن معطي وابن مالك، من أهم هذه الأسئلة: ما الفرق بين الألفيتين على مستوى المادة النحوية؟ وهل كان لهما نفس المنهج أم أن لكل واحدة منهما منهجها الخاص؟ هل يمكن اكشف عن أهم الفوارق بين الألفيتين من خلال المقارنة النصية بين المائة بيت الأولى من كلتا الألفيتين؟

مقارنة نصية بين ألفيتي ابن معطي وابن مالك من خلال المائة بيت الأولى من كل منهما:

نهدف في هذا المقال إلى إجراء مقارنة نصية بين الألفيتين لا تتجاوز النظر في مائتي بيت منهما ، أي عشر كل واحدة منهما؛ لنعرف ما أودع كلا الناظمين في المائة بيت الأولى من ألفيته، وهنا سيتضح لنا أن ابن معطي استغرق من ألفيته ستة عشر بيتا في المقدمة، بينما لم يزد ابن مالك مقدمته على سبعة أبيات، وحين تناول ابن معطي الكلام وما يتألف منه أفرد لذلك ستة عشر بيتا أيضا، بينما تناوله ابن مالك في سبعة أبيات فقط، على هذا المنوال سار كلا الرجلين على منهجه، يبسط ابن معطي ويفكك العناوين، ويطوي ابن مالك ويمزج ما تناسب من العناوين في عنوان واحد .

أولا: المائة بيت الأولى من ألفية ابن معطي

ابتدأ ابن معطي ألفيته بمقدمة من ستة عشر بيتا حامدا الله ومصليا على نبيه الكريم، ثم عرف بالعلم وفضائله، معتبرا أن تعلمه حاجة ماسة تجب تلبيتها وفق منهج يرتب العلوم حسب أهميتها والحاجة إليها، والغرض منها؛ ليتحدث بعد ذلك عن سبب نظمه لألفيته، ذلك السبب الذي طالما تترد على ألسنة المؤلفين بصيغ مختلفة، حيث طلب منه بعض خواصه ذلك، أو من لا تمكنه مخالفته، خاتما مقدمته بتحديد بحري ألفيته، يقول:

يَقُولُ رَاجِي رَبِّهِ الغَفُورِ ... يَحْيَى بْنُ مُعْطٍ بْنِ عَبْدِ النُّورِ

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي هَدَانَا ... بِأَحْمَدٍ دِينًا لَهُ ارْتَضَانَا

فَلَمْ يَزَلْ يَنْمِي بِهِ الإِسْلاَمُ ... حَتَّى اسْتَبَانَتْ لِلْهُدَى أَعْلاَمُ

مُؤَيَّدًا مِنْهُ بِخَيْرِ الْكُتُبِ ... وَحْيًا إِلَيْهِ بِلِسَانٍ عَرَبِي

لِكَوْنِهِ أَشْرَفَ مَا بِهِ نُطِقْ ... كَمَا الرَّسُولُ خَيْرُ مَخْلُوقٍ خُلِقْ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ثُمَّ سَلَّمَ ... وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَكَرَّمَا

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ جَلِيلُ الْقَدْرِ ... وَفِي قَلِيلِهِ نَفَاذُ الْعُمْرِ

فَابْدَأْ بِمَا هُوَ الأَهَمُّ فَالأَهَمُّ ... فَالْحَازِمُ الْبَادِئُ فِيمَا يُسْتَتَمُّ

فَإِنَّ مَنْ يُتْقِنُ بَعْضَ الْفَنِّ ... يُضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلاَ يَسْتَغْنِي

وَذَا حَدَا إِخْوَانَ صِدْقٍ لِي عَلَى ... أَنِ اقْتَضَوْا مِنِّي لَهُمْ أَنْ أَجْعَلاَ

أُرْجُوزَةً وَجِيزَةً فِي النَّحْوِ ... عِدَّتُهَا أَلْفٌ خَلَتْ مِنْ حَشْوِ

لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّ حِفْظَ النَّظْمِ وِفْقُ الذَّكِيِّ وَالْبَعِيدِ الْفَهْمِ
لاَ سِيَّمَا مَشْطُورُ بَحْرِ الرَّجَزِ إِذَا بُنِيَ عَلَى ازْدِوَاجٍ مُوجَزِ[1]
أَوْ مَا يُضَاهِيهِ مِنَ السَّرِيعِ مُزْدَوِجَ الشُّطُورِ كَالتَّصْرِيعِ
فَقُلْتُ غَيْرَ آمِنٍ مِنْ حَاسِدِ أَوْ جَاهِلٍ أَوْ عَالِمٍ مُعَانِدِ
بِاللهِ رَبِّي فِي الأُمُورِ أَعْتَصِمْ الْقَوْلُ فِي حَدِّ الْكَلاَمِ وَالْكَلِمْ

وحين فرغ ابن معطي من المقدمة بدأ يتحدث عن الكلام وما يتألف منه، متناولا أقسام الكلمة، ومعرفا الاسم والفعل والحرف، ثم مبينا خواص الأسماء وعلاماتها وكذلك الأفعال، مختتما حديثه هذا بتفصيل غير مطروق لدى أغلب النحاة حول اشتقاق الاسم، ورأي كل من الكوفيين والبصريين حوله، وقد جاء بكل هذه القضايا في ستة عشر بيتا يقول:

الكَلاَمُ وَمَا يَتَأَلَّفُ مِنْهُ

اللَّفْظُ إِنْ يُفِدْ هُوَ الْكَلاَمُ نَحْوُ: مَضَى الْقَوْمُ وَهُمْ كِرَامُ
تَأْلِيفُهُ مِنْ كَلِمٍ وَاحِدُهَا كَلِمَةٌ أَقْسَامُهَا أَحَدُّهَا

أَقْسَامُ الكَلِمَةِ

وَهْيَ ثَلاَثٌ لَيْسَ فِيهَا خُلْفُ الاسْمُ ثُمَّ الْفِعْلُ ثُمَّ الْحَرْفُ

تَعْرِيفُ الاسْمُ

فَالاسْمُ مَا أَبَانَ عَنْ مُسَمَّى فِي الشَّخْصِ وَالْمَعْنَى الْمُسَمَّى عَمَّا

تَعْرِيفُ الفِعْلِ

وَالْفِعْلُ مَا دَلَّ عَلَى زَمَانِ وَمَصْدَرٍ دِلاَلَةَ اقْتِرَانِ

تَعْرِيفُ الحَرْفِ

وَالْحَرْفُ لاَ يُفِيدُ مَعْنًى إِلاَّ فِي غَيْرِهِ كَهَلْ أَتَى الْمُعَلَّى

خَوَاصُّ الأَسْمَاءِ وَعَلاَمَاتُهَا

فَالاِسْمُ عَرِّفْهُ وَأَخْبِرْ عَنْهُ وَثَنِّهِ وَاجْمَعْهُ أَوْ نَوِّنْهُ
وَاجْرُرْهُ أَوْ نَادِهِ أَوْ صَغِّرْهُ وَانْعَتْهُ أَوْ أَنِّثْهُ أَوْ أَضْمِرْهُ

خَوَاصُّ الفِعْلِ

وَالْفِعْلُ بِالسِّينِ وَسَوْفَ عُرِّفَا وَالأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَقَدْ انْ صُرِّفَا[1]

عَلاَمَاتُ الفِعْلِ

وَالْحَرْفُ فَضْلَةٌ بِلَفْظٍ خَالِي مِنْ عَلَمِ الأَسْمَاءِ وَالأَفْعَالِ

يَجِيءُ إِمَّا رَابِطًا أَوْ نَاقِلاَ أَوْ زَائِدًا مُؤَكِّدًا أَوْ عَامِلاَ

الخِلاَفُ فِي اشْتِقَاقِ الاسم

وَاشْتَقَّ الاِسْمَ مِنْ سَمَا الْبَصْرِيُّونَ وَاشْتَقَّهُ مِنْ وَسَمَ الْكُوفِيُّونَ

وَالْمَذْهَبُ الْمُقَدَّمُ الْجَلِيُّ دَلِيلُهُ الأَسْمَاءُ وَالسُّمَيُّ

اشْتِقَاقُ الْمَصْدَرِ

وَاشْتَقَّ الْكُوفِيُّونَ أَيْضًا المِصْدَرَا مِنْ فِعْلِهِ نَحْوَ نَظَرْتُ نَظَرَا

وَاشْتَقَّ مِنْهُ الْفِعْلُ أَهْلُ الْبَصْرَهْ وَذَا الَّذِي بِهِ تَلِيقُ النُّصْرَهْ

إِذْ كُلُّ فَرْعٍ فِيهِ مَا فِي الأَصْلِ وَلَيْسَ فِي الْمَصْدَرِ مَا فِي الْفِعْلِ

وتناول ابن معطي بعد الكلام وعناصره الإعراب والبناء، فعرف الإعراب والبناء مبينا حد البناء، ثم موضحا بعد ذلك سبب بناء الأسماء، ومتناولا الأسماء المعربة؛ ليقوده ذلك إلى إعراب أنواع من الأسماء، كالاسم الصحيح والمنقوص والمقصور، والأسماء المعتلة والمهموزة والأسماء الستة، ثم الوقف قبل أن يجتاز إلى المثنى وجمع المذكر السالم، وجمع التكسير وجمع المؤنث ذي العلامة، ليأتي أخيرا إلى باب الأفعال متناولا أنواعها وبناءها وإعرابها بشكل مفصل يتم فيه تقطيع العناوين وعزل كل جزئية منها على حدة، يقول:

الإِعْرَابُ وَالْبِنَاءُ

الْقَوْلُ فِي الإِعْرَابِ وَالْبِنَاءِ الأَصْلُ فِي الإِعْرَابِ لِلأَسْمَاءِ

وَحَدُّهُ تَغَيُّرٌ فِي الآخِرِ بِعَامِلٍ مُقَدَّرٍ أَوْ ظَاهِرِ

بِالرَّفْعِ أَوْ بِالنَّصْبِ أَوْ بِالْجَرِّ كَمَرَّ زَيْدٌ رَاكِبًا بِعَمْرِو

وَالْجَزْمُ مِنْ أَلْقَابِهِ كَلَمْ يَرِمْ وَلَيْسَ فِي الأَسْمَاءِ شَيْءٌ يَنْجَزِمْ

وَلَيْسَ فِي الأَفْعَالِ مَا يَنْجَرُّ فَعُوِّضَتْ جَزْمًا بِهَا يُقَرُّ

الْبِنَاءُ

وَالْحَرْفُ مَبْنِيٌّ بِكُلِّ حَالِ وَالأَصْلُ فِي الْبِنَاءِ لِلأَفْعَالِ

حَدُّ الْبِنَاءِ

وَحَدُّهُ لُزُومُ آخِرِ الْكَلِمْ ... حَرَكَةً مَا أَوْ سُكُونًا الْتُزِمْ[1]

كَحَيْثُ أَيْنَ أَمْسِ كَمْ فَقِسْ تُصِبْ ... وَعِلَّةُ الْبِنَاءِ ذِكْرُهَا يَجِبْ

سَبَبُ بِنَاءِ الأَسْمَاءِ

أَعْنِي فِي الاِسْمِ وَهْوَ أَنْ يُضَارِعَا ... الْحَرْفَ أَوْ كَانَ اسْمَ فِعْلٍ وَاقِعَا

كَمَنْ وَإِيهٍ وَنَزَالِ وَهَلُمَّ ... وَلَفْظُ غَيْرِ الْمُتَمَكِّنِ يَعُمُّ

الاسم الْمُعْرَبُ

فَالْمُعْرَبُ الاِسْمُ الَّذِي تَمَكَّنَا ... ثُمَّ مُضَارِعٌ سَيَأْتِي بَيِّنَا

أَنْوَاعُ الْمُعْرَبِ

الْقَوْلُ فِي إِعْرَابِ الاِسْمِ الْوَاحِدِ ... كُلُّ صَحِيحٍ بِانْصِرَافٍ وَارِدِ

إِعْرَابُ الاسم الصَّحِيحِ

فَرَفْعُهُ بِضَمَّةٍ تَبِينُ ... وَيَتْبَعُ الْحَرَكَةَ التَّنْوِينُ

وَالنَّصْبُ فِيهِ بِانْفِتَاحِ الآخِرِ ... وَالْجَرُّ فِيهِ بِانْكِسَارٍ ظَاهِرِ

الاسم الْمَقْصُورُ

وَإِنْ يَكُنْ آخِرُهُ مُعْتَلاَّ ... بِأَلِفٍ نَحْوُ الْفَتَى وَحُبْلَى

سُمِّيَ مَقْصُورًا بِهِ تُقَدَّرُ ... الْحَرَكَاتُ كُلُّهَا لاَ تَظْهَرُ

الاسم الْمَنْقُوصُ

وَإِنْ يَكُنْ يَاءٌ وَكَسْرٌ قَبْلَهُ ... سُمِّيَ مَنْقُوصًا لِنَقْصٍ حَلَّهُ

نَحْوُ الشَّجِي وَالنَّصْبُ فِيهِ يَظْهَرُ ... وَالرَّفْعُ كَالْجَرِّ بِهِ يُقَدَّرُ

إِعْرَابُ الأَسْمَاءِ الْمُعْتَلَّةِ وَالْمَهْمُوزَةِ

وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ إِذَا مَا كَانَا ... فِي اسْمٍ حَوَى قَبْلَهُمَا إِسْكَانَا

أَوْ كَانَ مَهْمُوزًا كَمِثْلِ الشَّاءِ ... وَالظَّبْيِ وَالأَيِ وَكَالْكِسَاءِ

وَالْعَدْوِ وَالْعَدُوِّ وَالْكُرْسِيّ ... جِئْتَ بِإِعْرَابٍ لَهَا جَلِيّ

الأَسْمَاءُ السِّتَّةُ

وَسِتَّةٌ بِالْوَاوِ رَفْعًا إِنْ تُضِفْ ... وَالْيَاءُ فِي الْجَرِّ وَفِي النَّصْبِ الأَلِفْ

أَخٌ أَبٌ حَمٌ هَنٌ وَفُوهُ ... ذُو الْمَالِ قُلْ وَلاَ يَجُوزُ ذُوهُ

إِعْرَابُ الْمَمْنُوعِ مِنَ الصَّرْفِ

وَكُلُّ مَا لَمْ يَنْصَرِفْ تَفْتَحُهُ ... جَرًّا كَإِسْحَقَ وَيَأْتِي شَرْحُهُ

بَابُ الْوَقْفِ

وَقِفْ عَلَى الْمُنْصَرِفِ الْمَنْصُوبِ ... بِأَلِفٍ عَنْ نُونِهِ مَقْلُوبِ

وَفِي سِوَاهُ قِفْ بِغَيْرِ إِبْدَالِ ... وَاحْذِفْ مِنَ الْمَنْقُوصِ يَا الإِعْلاَلِ

فَإِنْ تُعَرِّفْهُ فَاثْبِتْهُ وَقِفْ ... وَقِفْ عَلَى الْمَقْصُورِ حَتْمًا بِالأَلِفْ

وَالرَّوْمُ وَالإِشْمَامُ وَالتَّضْعِيفُ ... وَالنَّقْلُ حَالاَتٌ بِهَا الْوُقُوفُ

بَابُ الْمُثَنَّى

الْقَوْلُ فِي التَّثْنِيَةِ اللَّفْظِيَّهْ ... الْوَاوُ لِلْعَطْفِ بِهَا مَنْوِيَّهْ

لأَنَّهَا اسْمَانِ بِلَفْظٍ وَاحِدِ ... فَإِنْ تُثَنِّ خَالِدًا مَعْ خَالِدِ

فِي الرَّفْعِ قُلْتَ خَالِدَانِ بِالأَلِفِ ... وَالنُّونُ كَالتَّنْوِينِ فَاحْذِفْ إِنْ تُضِفْ

وَالنَّصْبُ كَالْجَرِّ بِيَاءٍ سَاكِنَهْ ... وَقَبْلَهَا الْفَتْحَةُ فِيهَا بَائِنَهْ

تَثْنِيَةُ الْمَقْصُورِ الثُّلاَثِيِّ

وَكُلُّ مَقْصُورٍ ثُلاَثِيِّ الْبِنَا ... فِيهَا بِرَدِّ أَصْلِهِ تَعَيَّنَا

فَقُلْ بِوَاوٍ عَصَوَانِ كَالْقَنَا ... وَقُلْ بِيَاءٍ رَحَيَانِ كَالْفَتَى

تَثْنِيَةُ الْمَقْصُورِ الزَّائِدِ عَلَى ثَلاَثَةٍ وَالْمَنْقُوصُ

وإِنْ يَزِدْ فَالْيَاءُ لاَ تَحُولُ ... وَالْيَاءُ فِي الْمَنْقُوصِ لاَ تَزُولُ

تَقُولُ: قَاضِيَانِ أَعْلَيَانِ ... وَشَذَّ فِي الْمَقْصُورِ مِذْرَوَانِ

مِثْلَ شُذُوذِ قَوْلِهِمْ: أَلْيَانِ ... فَحَذَفُوا التَّاءَ كَذَا حُصْيَانِ[1]

تَثْنِيَةُ الأَسْمَاءِ الْمُعْرَبَةِ إِذَا كَانَتْ عَلَى حَرْفَيْنِ

وَارْدُدْ إِلَى الْوَاوِ أَبًا وَإِخْوَتَهْ ... وَفِي دَمٍ وَبَابِهِ لَنْ تُثْبِتَهْ

تَثْنِيَةُ الْمَمْدُودِ

وَالْهَمْزُ إِنْ يُرَدْ فَوَاوًا يُبْدَلُ ... وَإِنْ يَكُنْ أَصْلاً فَهَمْزًا يُجْعَلُ

تَقُولُ فِي الأَصْلِيِّ: قُرَّاءَانِ ... بِالْهَمْزِ، وَالْمَزِيدُ حَمْرَوَانِ

جَمْعُ الْمُذَكَّرِ السَّالِمِ

الْقَوْلُ فِي الْجَمْعِ الْمُذَكَّرِ الْعَلَمْ ... وَالْوَصْفِ، وَالْوَاحِدُ فِيهِ قَدْ سَلِمْ

وَالْعَقْلُ شَرْطٌ فِيهِمَا جَمِيعًا ... الاِسْمُ إِنْ سَلَّمْتَهُ مَجْمُوعَا

أَلْحِقْتَهُ فِي الرَّفْعِ وَاوًا سُكِّنَتْ ... وَالنَّصْبُ كَالْجَرِّ بِيَاءٍ لُيِّنَتْ

وَالضَّمُّ قَبْلَ الْوَاوِ كَالزَّيْدُونَا ... وَالْكَسْرُ قَبْلَ الْيَاءِ كَالزَّيْدِينَا

وَالْفَتْحُ فِي الْمَقْصُورِ نَائِبُ الأَلِفْ ... وَالنُّونُ مَفْتُوحٌ وَإِنْ تُضِفْ حُذِفْ

إِعْرَابُ جَمْعَيِّ التَّكْسِيرِ وَالتَّأْنِيثِ

وَأَعْرَبُوا كَالْفَرْدِ جَمْعَ التَّكْسِيرْ ... وَسَالِمُ التَّأْنِيثِ يَتْلُو التَّذْكِيرْ

كَخَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... وَفِي السَّمَوَاتِ لِجَرٍّ مُثِّلاَ

فَالنَّصْبُ كَالْجَرِّ وَفِي الرَّفْعِ يُضَمْ ... وَفِيهِ تَنْوِينٌ كَنُونٍ مُلْتَزَمْ

أَلاَ تَرَى مِنْ عَرَفَاتٍ تُصْرَفُ ... مَعْ أَنَّهَا مُؤَنَّثٌ مُعَرَّفُ

جَمْعُ الْمُؤَنَّثِ ذِي الْعَلاَمَةِ

وَتُحْذَفُ التَّاءُ فِي الْوَاحِدَهْ ... إِذَا جَمَعْتَهَا لأَجْلِ الْوَارِدَهْ

وَأَلِفُ التَّأْنِيثِ يَاءٌ تُبْدَلُ ... إِلاَّ إِذَا مُدَّتْ فَوَاوًا تُجْعَلُ

فَقَصْرُهَا حُبْلَى وَحُبْلَيَاتُ ... وَالْمَدُّ صَحْرَاءٌ وَصَحْرَوَاتُ

وَمِثْلُ هِنْدٍ جُمَلُ دَعْدٍ يُجْمَعُ ... طَوْرًا بِتَخْفِيفٍ وَطَوْرًا يُتْبَعُ

وَمِثْلُ جَفْنَةٍ بِفَتْحٍ جُمِعَتْ ... كَالْجَفَنَاتِ وَالصِّفَاتُ أُسْكِنَتْ

وَأُسْكِنَ الْمُعْتَلُّ كَالْعَوْرَاتِ ... وَمَا حَوَى التَّشْدِيدَ كَالشَّدَّاتِ

وَمِثْلُ خُطْوَةٍ وَسِدْرَةٍ أَتَتْ ... فِي جَمْعِهَا لُغًى ثَلاَثٌ رُوِيَتْ

وَشَذَّ قَوْلُهُمْ: سُرَادِقَاتُ ... جَمْعُ مُذَكَّرٍ وَحَمَّامَاتُ

مِثْلَ شُذُوذِ قَوْلِهِمْ: سِنُونَا ... وَأَرَضُونَ وَكَذَا حَرُّونَا

بَابُ الأَفْعَالِ

الْقَوْلُ فِي أَزْمِنَةِ الأَفْعَالِ ... الْحَالِ والْمَاضِي وَالاِسْتِقْبَالِ

صِيَغُ الأَفْعَالِ

بِأَمْسِ قَدِّرْ مَا مَضَى نَحْوُ قَعَدْ ... وَالآنَ لِلْحَاضِرِ وَالآتِي بِغَدْ

وَالْحَالُ لاَ لَفْظَ لَهُ بِهِ انْفَرَدْ ... لَكِنَّ لَفْظَ الْحَالِ وَالآتِي اتَّحَدْ

وَإِنَّمَا صِيغَ لِلاِسْتِقْبَالِ ... الأَمْرُ كَاضْرِبْ، وَهُوَ غَيْرُ حَالِ

بِنَاءُ الْفِعْلِ الْمَاضِي

وَابْنِ عَلَى الْفَتْحِ الْمُضِيِّ حَتَّى ... يَأْتِي الضَّمِيرُ نَحْوُ قُمْتُ قُمْتَا

بِنَاءُ فِعْلِ الأَمْرِ

وَالأَمْرُ كَاضْرِبْ بِالسُّكُونِ يُبْنَى ... وَاحْذِفْ عَلِيلاً كَامْضِ وَاغْزُ وَاغْنَا

الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ

وَالْمُبْهَمُ الْمُعْرَبُ لِلتَّشْبِيهِ ... بِالاِسْمِ حَرْفٌ مِنْ أَنَيْتُ فِيهِ

نَحْوُ أَنَا أَضْرِبُ، نَحْنُ نَضْرِبُ ... وَأَنْتَ تَضْرِبُ وَزَيْدٌ يَضْرِبُ

إِعْرَابُ الْمُضَارِعُ

هَذَا خُصُوصًا مُعْرَبٌ مُرْتَفِعُ ... فَاجْزِمْهُ وَانْصِبْهُ بِمَا سَتَسْمَعُ

جَزْمُ الْمُضَارِعِ

فَجَزْمُهُ بِلَمْ وَلَمَّا وَأَلَمْ ... وَلاَمِ أَمْرٍ وَبِلاَ النَّهْيِ انْجَزَمْ

أَدَوَاتُ الشَّرْطِ الجَازِمَةِ

وَاجْزِمْ بِحَرْفِ الشَّرْطِ وَهُوَ إِنْ وَمَا ... ضُمِّنَ مَعْنَاهُ فَمِنْهُ مَنْ وَمَا[1]

ثانيا: المائة بيت الأولى من ألفية ابن مالك

افتتح ابن مالك ألفيته بمقدمة لم تتجاوز السبعة أبيات حمد فيها الله وصلى على نبيه الكريم، ثم طلب العون من الله في ألفية يجمع فيها مقاصد النحو، تقرب بعيده، وتُجلّي مُخدَّره فائقة ألفية ابن معطي، سائلا الله لابن معطي ولنفسه بجزيل الثواب والهبات، يقول:

قالَ مُحَمَّد هُوَ ابنُ مَالِكِ ... أَحْمَدُ رَبِّي اللَّهَ خَيْرَ مَالِكِ

مُصَلِّيَاً عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى ... وَآلِهِ الْمُسْتَكْمِلِينَ الْشَّرَفَا

وَأَسْتَعِيْنُ اللَّهَ فِي أَلْفِيَّهْ ... مَقَاصِدُ الْنَّحْوِ بِهَا مَحْوِيَّهْ

تُقَرِّبُ الأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوْجَزِ ... وَتَبْسُطُ الْبَذْلَ بِوَعْدٍ مُنْجَزِ

وَتَقْتَضِي رِضَاً بِغَيْرِ سُخْطِ ... فَائِقَةً أَلْفِيَّةَ ابْنِ مُعْطِي

وَهْوَ بِسَبْقٍ حَائِزٌ تَفْضِيْلاً ... مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِيَ الْجَمِيْلاَ

وَاللَّهُ يَقْضِي بِهِبَاتٍ وَافِرَهْ ... لِي وَلَهُ فِي دَرَجَاتِ الآخِرَهْ[2]

بعد المقدمة تحدث ابن مالك عن الكلام وما يتألف منه، فاقتضب واختصر ولم يزد على سبعة أبيات أيضا، عرف فيها على علامات الاسم والفعل والحرف، معددا أزمنة الأفعال ذاكرا علامة كل فعل بحسب زمنه، كل هذا بشكل مقتضب لا بسط فيه ولا تفصيل يقول:

الْكَلاَمُ وَمَا يَتَأَلَّفُ مِنْهُ

كَلاَمُنَا لَفْظٌ مُفِيْدٌ كَاسْتَقِمْ ... وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ

وَاحِدُهُ كَلِمَةٌ وَالْقَوْلُ عَمْ ... وَكَلْمَةٌ بِهَا كَلاَمٌ قَدْ يُؤَمْ

بِالْجَرِّ وَالْتَنْوِيْنِ وَالْنِّدَا وَأَلْ ... وَمُسْنَدٍ لِلاسْمِ تَمْيِيْزٌ حَصَلْ

بِتَا فَعَلْتَ وَأَتَتْ وَيَا افْعَلِي ... وَنُوْنِ أَقْبِلَنَّ فِعْلٌ يَنْجَلِي

سِوَاهُمَا الْحَرْفُ كَهَلْ وَفِي وَلَمْ ... فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَلِي لَمْ كَيَشِمْ

وَمَاضِيَ الأَفْعَالِ بِالتَّا مِنْ وَسِمْ ... بِالنُّوْنِ فِعْلَ الأَمْرِ إِنْ أَمْرٌ فُهِمْ

وَالأَمْرُ إِنْ لَمْ يَكُ لِلنّوْنِ مَحَلْ ... فِيْهِ هُوَ اسْمٌ نَحْوُ صَهْ وَحَيَّهَلْ

بعد ذلك تناول ابن مالك المعرب والمبني، فدمج غالبية الجزئيات التي شتت ابن معطي، حيث جاء هنا بسبعة وثلاثين بيتا أي ما يزيد على ثلث المائة، عرف فيه على المعرب وعلى المبني وعلى أنواع كل منهما، وما يدخل فيه ويندرج معه، يقول:

الْمُعْرَبُ وَالْمَبْنِي

وَالاسْمُ مِنْهُ مُعْرَبٌ وَمَبْنِي ... لِشَبَهٍ مِنَ الْحُرُوْفِ مُدْنِي

كَالشَّبَهِ الْوَضْعِيِّ فِي اسْمَيْ جِئْتَنَا ... وَالْمَعْنَوِيِّ فِي مَتَى وَفِي هُنَا

وَكَنِيَابَةٍ عَنِ الْفِعْلِ بِلاَ ... تَأَثُّرٍ وَكَافْتِقَارٍ أُصِّلا

وَمُعْرَبُ الأَسْمَاءِ مَا قَدْ سَلِمَا ... مِنْ شَبَهِ الْحَرْفِ كَأَرْضٍ وَسَمَا

وَفِعْلُ أَمْرٍ وَمُضِيٍّ بُنِيَا ... وَأَعْرَبُوا مُضَارِعاً إِنْ عَرِيَا

مِنْ نُوْنِ تَوْكِيْدٍ مُبَاشِرٍ وَمِنْ ... نُوْنِ إِنَاثٍ كَيَرَعْنَ مَنْ فُتِنْ

وَكُلُّ حَرْفٍ مُسْتَحِقٌّ لِلْبِنَا ... وَالأَصْلُ فِي الْمَبْنِيِّ أَنْ يُسَكَّنَا

وَمِنْهُ ذُو فَتْحٍ وَذُو كَسْرٍ وَضَمّ ... كَأَيْنَ أَمْسِ حَيْثُ وَالسَّاكِنُ كَمْ

وَالرَّفْعَ وَالنَّصْبَ اجْعَلَنْ إِعْرَابَا ... لاسْمٍ وَفِعْلٍ نَحْوُ لَنْ أَهَابَا

وَالاسْمُ قَدْ خُصِّصَ بِالْجَرِّ كَمَا ... قَدْ خُصِّصَ الْفِعْلُ بِأَنْ يَنْجَزِمَا

فَارْفَعْ بِضَمَ وَانْصِبَنْ فَتْحاً وَجُرْ ... كَسْرَاً كَذِكْرُ اللهِ عَبْدَهُ يَسُرْ

وَاجْزِمْ بِتَسْكِيْنٍ وَغَيْرُ مَا ذُكِرْ ... يَنُوْبُ نَحْوُ جَا أَخُو بَنِي نَمِرْ

وَارْفَعْ بِوَاوٍ وَانْصِبَنَّ بِالأَلِفْ ... وَاجْرُرْ بِيَاءٍ مَا مِنَ الأَسْمَا أَصِفْ

مِنْ ذَاكَ ذُو إِنْ صُحْبَةً أَبَانَا ... وَالْفَمُ حَيْثُ الْمِيْمُ مِنْهُ بَانَا

أَبٌ آخٌ حَمٌ كَذَاكَ وَهَنُ ... وَالنَّقْصُ فِي هذَا الأَخِيْرِ أَحْسَنُ

وَفِي أَبٍ وَتَالِيَيْهِ يَنْدُرُ ... وَقَصْرُهَا مِنْ نَقْصِهِنَّ أَشْهَرُ

وَشَرْطُ ذَا الإِعْرَابِ أَنْ يُضَفْنَ لاَ ... لِلْيَا كَجَا أَخُو أَبِيْكَ ذَا اعْتِلاَ

بِالأَلِفِ ارْفَعِ الْمُثَنَّى وَكِلاَ ... إِذَا بِمُضْمَرٍ مُضَافاً وُصِلاَ

كِلْتَا كَذَاكَ اثْنَانِ وَاثْنَتَانِ ... كَابْنَيْنِ وَابْنَتَيْنِ يَجْرِيَانِ

وَتَحْذُفُ الْيَا فِي جَمِيْعِهَا الأَلِفْ ... جَرًّا وَنَصْباً بَعْدَ فَتْحٍ قَدْ أُلِفْ

وَارْفَعْ بِوَاوٍ وَبِيَا اجْرُرْ وَانْصِبِ ... سَالِمَ جَمْعِ عَامِرٍ وَمُذْنِبِ

وَشِبْهِ ذَيْنِ وَبِهِ عِشْرُوْنَا ... وَبَابُهُ أُلْحِقَ وَالأَهْلُوْنَا

أُوْلُو وَعَالَمُوْنَ عِلِّيُّونَا ... وَأَرْضُوْنَ شَذَّ وَالْسِنُوْنَا

وَبَابُهُ وَمِثْلَ حِيْنٍ قَدْ يَرِدْ ... ذَا الْبَابُ وَهْوَ عِنْدَ قَوْمٍ يَطَّرِدْ[1]

وَنُوْنَ مَجْمُوْعٍ وَمَا بِهِ الْتَحَقْ ... فَافْتَحْ وَقَلَّ مَنْ بِكَسْرِهِ نَطَقْ

وَنُوْنُ مَا ثُنِّيَ وَالْمُلْحَقِ بِهْ ... بِعَكْسِ ذَاكَ اسْتَعْمَلُوْهُ فَانْتَبِهْ

وَمَا بِتَا وَأَلِفٍ قَدْ جُمِعَا ... يُكْسَرُ فِي الْجَرِّ وَفِي النَّصْبِ مَعَا

كَذَا أُوْلاَتُ وَالَّذِي اسْمًا قَدْ جُعِلْ ... كَأَذْرِعَاتٍ فِيْهِ ذَا أَيْضًا قُبِلْ

وَجُرَّ بِالْفَتْحَةِ مَا لاَ يَنْصَرِفْ ... مَا لَمْ يُضَفْ أَوْ يَكُ بَعْدَ أَلْ رَدِفْ

وَاجْعَلْ لِنَحْوِ يَفْعَلاَنِ النُّوْنَا ... رَفْعًا وَتَدْعِيْنَ وَتَسْأَلُونَا

وَحَذْفُهَا لِلْجَزْمِ وَالنَّصْبِ سِمَهْ ... كَلَمْ تَكُوْنِي لِتَرُوْمِي مَظْلَمَهْ

وَسَمِّ مُعْتَلاًّ مِنَ الأَسْمَاءِ مَا ... كَالْمُصْطَفَى وَالْمُرْتَقِي مَكَارِمَا

فَالأَوَّلُ الإِعْرَابُ فِيْهِ قُدِّرَا ... جَمِيْعُهُ وَهْوَ الَّذِي قَدْ قُصِرَا

وَالثَّانِ مَنْقُوصٌ وَنَصْبُهُ ظَهَرْ ... وَرَفْعُهُ يُنْوَى كَذَا أَيْضًا يُجَرْ

وَأَيُّ فِعْلٍ آخِرٌ مِنْهُ أَلِفْ ... أَوْ وَاوٌ أَوْ يَاءٌ فَمُعْتَلاًّ عُرِفْ

فَالأَلِفَ انْوِ فِيْهِ غَيْرَ الْجَزْمِ ... وَأَبْدِ نَصْبَ مَا كَيَدْعُو يَرْمِي

والرَّفعَ فيهما انْوِ واحذِفْ جازِمَا ... ثلاثَهُنَّ تَقْضِ حُكمًا لازِمَا[2]

ثم تحدث ابن مالك عن النكرة والمعرفة، معددا أنواع المعارف، جالبا الأمثلة عليها مفصلا في ذلك تفصيلا لا هو بالقصير المخل ولا هو بالطويل الممل يقول:

النَّكِرَةُ وَالْمَعْرِفَةُ

نَكِرَةٌ قَابِلُ أَلْ مُؤَثِّرَا ... أَوْ وَاقِعٌ مَوْقِعَ مَا قَدْ ذُكِرَا

وَغَيْرُهُ مَعْرِفَةٌ كَهُمْ وَذِي ... وَهِنْدَ وَابْنِي وَالْغُلاَمِ وَالَّذِي

فَمَا لِذِي غَيْبَةٍ أَوْ حُضُورِ ... كَأَنْتَ وَهْوَ سَمِّ بِالضَّمِيْرِ

وَذُو اتِّصَالٍ مِنْهُ مَا لاَ يُبْتَدَا ... وَلاَ يَلِي إِلاَّ اخْتِيَارًا أَبَدَا

كَالْيَاءِ وَالْكَافِ مِنِ ابْنِي أَكْرَمَكْ ... وَالْيَاءِ وَالْهَا مِنْ سَلِيْهِ مَا مَلَكْ

وَكُلُّ مُضْمَرٍ لَهُ الْبِنَا يَجِبْ ... وَلَفْظُ مَا جُرَّ كَلَفْظِ مَا نُصِبْ

لِلرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَجَرَ نا صَلَحْ ... كَاعْرِفْ بِنَا فَإِنَّنَا نِلْنَا الْمِنَحْ

وَأَلِفٌ وَالْوَاوُ وَالنُّوْنُ لِمَا ... غَابَ وَغَيْرِهِ كَفَامَا وَاعْلَمَا

وَمِنْ ضَمِيْرِ الرَّفْعِ مَا يَسْتَتِرُ ... كَافْعَلْ أَوَافِقْ نَغْتَبِطْ إِذْ تُشْكَرُ

وَذُو ارْتِفَاعٍ وَانْفِصَالٍ أَنَا هُوْ ... وَأَنْتَ وَالْفُرُوْعُ لاَ تَشْتَبِهُ

وَذُو انْتِصَابٍ فِي انْفِصَالٍ جُعِلاَ ... إِيَّايَ وَالتَّفْرِيْعُ لَيْسَ مُشْكِلاَ

وَفِي اخْتِيَارٍ لاَ يَجِيءُ الْمُنْفَصِلْ ... إِذَا تَأَتَّى أَنْ يَجِيءَ الْمُتَّصِلْ

وَصِلْ أَوِ افْصِلْ هَاءَ سَلْنِيْهِ وَمَا ... أَشْبَهَهُ فِي كُنْتُهُ الْخُلْفُ انْتَمَى

كَذَاكَ خِلْتَنِيْهِ وَاتِّصَالاَ ... أَخْتَارُ غَيْرِي اخْتَارَ الانْفِصَالاَ

وَقَدِّمِ الأَخَصَّ فِي اتِّصَالِ ... وَقَدِّمَنْ مَا شِئْتَ فِي انْفِصَالِ16

وَفِي اتِّحَادِ الرُّتْبَةِ الْزَمْ فَصْلاَ ... وَقَدْ يُبِيْحُ الْغَيْبُ فِيْهِ وَصْلاَ

وَقَبْلَ يَا النَّفْسِ مَعَ الْفِعْلِ الْتُزِمْ ... نُوْنُ وِقَايَةٍ وَلَيْسِي قَد نُظِمْ

وَلَيْتَنِي فَشَا وَلَيْتِي نَدَرَا ... وَمَعْ لَعَلَّ اعْكِسْ وَكُنْ مُخَيَّرَاً

فِي الْبَاقِيَاتِ وَاضْطِرَاراً خَفَّفَا ... مِنِّي وَعَنِّي بَعْضُ مَنْ قَدْ سَلَفَا

وَفِي لَدُنِّي لَدُنِي قَلَّ وَفِي ... قَدْنِي وَقَطْنِي الْحَذْفُ أَيْضَاً قَدْ يَفِي

الْعَلَمُ

اسْمٌ يُعَيِّنُ الْمُسَمَّى مُطْلَقَا ... عَلَمُهُ كَجَعْفَرٍ وَخِرْنِقَا

وَقَرَنٍ وَعَدَنٍ وَلاَحِقِ ... وَشَذْقَمٍ وَهَيْلَةٍ وَوَاشِقِ

وَاسْمَاً أَتَى وَكُنْيَةً وَلَقَبَا ... وَأَخِّرَنْ ذَا إِنْ سِوَاهُ صَحِبَا

وَإِنْ يَكُوْنَا مُفْرَدَيْنِ فَأَضِفْ ... حَتْمَاً وَإِلاَّ أَتْبِعِ الذي رَدِفْ

وَمِنْهُ مَنْقُولٌ كَفَضْلٍ وَأَسَدْ ... وَذُو ارْتِجَالٍ كَسُعَادَ وَأُدَدْ

وَجُمْلَةٌ وَمَا بِمَزْجٍ رُكِّبَا ذَا إِنْ بِغَيْرِ وَيْهِ تَمَّ أُعْرِبَا

وَشَاعَ فِي الأَعْلاَمِ ذُو الإِضَافَهْ كَعَبْدِ شَمْسٍ وَأَبِي قُحَافَهْ

وَوَضَعُوا لِبَعْضِ الأَجْنَاسِ عَلَمْ كَعَلَمِ الأَشْخَاصِ لَفْظاً وَهْوَ عَمْ

مِنْ ذَاكَ أُمُّ عِرْيَطٍ لِلْعَقْرَبِ وَهكَذَا ثُعَالَةٌ لِلثَّعْلَبِ

وَمِثْلُهُ بَرَّةُ لِلْمَبَرَّهْ كَذَا فَجَارِ عَلَمٌ لِلْفَجَرَهْ

بِذَا لِمُفْرَدٍ مُذَكَّرٍ أَشِرْ بِذِي وَذِهْ تِي تَا عَلَى الأُنْثَى اقْتَصِرْ

وَذَانِ تَانِ لِلْمُثَنَّى الْمُرْتَفِعْ وَفِي سِوَاهُ ذَيْنِ تَيْنِ اذْكُرْ تُطِعْ

وَبِأُولَى أَشِرْ لِجَمْعٍ مُطْلَقاً وَالْمَدُّ أَوْلَى وَلَدَى الْبُعْدِ انْطِقَا

بِالْكَافِ حَرْفاً دُونَ لاَمٍ أَوْ مَعَهْ وَاللاَّمُ إِنْ قَدَّمْتَ هَا مُمْتَنِعَهْ[1]

وَهُنَا أَوْ هٰهُنَا أَشِرْ إِلَى دَانِي الْمَكَانِ وَبِهِ الْكَاف صِلاَ

فِي الْبُعْدِ أَوْ بِثَمَّ فُهْ أَوْ هَنَّا أَوْ بِهُنَالِكَ انْطِقَنْ أَوْ هِنَّا

الْمَوْصُوْلُ

مَوْصُولُ الاسْمَاءِ الَّذِي الأُنْثَى الَّتِي وَالْيَا إِذَا مَا ثُنِّيَا لاَ تُثْبِتِ

بَلْ مَا تَلِيْهِ أَوْلِهِ الْعَلاَمَهْ وَالنُّوْنُ إِنْ تُشْدَدْ فَلاَ مَلاَمَهْ

وَالْنُّوْنُ مِنْ ذَيْنِ وَتَيْنِ شُدِّدَا أَيْضاً وَتَعْوِيضٌ بِذَاكَ قُصِدَا

جَمْعُ الَّذِي الأَلَى الَّذِيْنَ مُطْلَقَا وَبَعْضُهُمْ بِالْوَاوِ رَفْعاً نَطَقَا

بِاللاَّتِ وَاللاَّءِ الَّتِي قَدْ جُمِعَا وَاللاَّءِ كَالَّذِيْنَ نَزْراً وَقَعَا

وَمَنْ وَمَا وَأَلْ تُسَاوِي مَا ذُكِرْ وَهكَذَا ذُو عِنْدَ طَيِّءٍ شُهِرْ

وَكَالَّتِي أيضا لَدَيْهِمْ ذَاتُ وَمَوْضِعَ اللاَّتِي أَتَى ذَوَاتُ

وَمِثْلُ مَاذَا بَعْدَ مَا اسْتِفْهَامِ أَوْمَنْ إِذَا لَمْ تُلْغَ فِي الْكَلاَمِ

وَكُلُّهَا يَلْزَمُ بَعْدَهُ صِلَهْ عَلَى ضَمِيْرٍ لاَئِقٍ مُشْتَمِلَهْ

وَجُمْلَةٌ أَوْ شِبْهُهَا الَّذِي وُصِلْ بِهِ كَمَنْ عِنْدِي الَّذِي ابْنُهُ كُفِلْ

وَصفَةٌ صَرِيْحَةٌ صِلَةُ أَلْ وَكَوْنُهَا بِمُعْرَبِ الأَفْعَالِ قَلْ

أَيُّ كَمَا وَأُعْرِبَتْ مَا لَمْ تُضَفْ وَصَدْرُ وَصْلِهَا ضَمِيْرٌ انْحَذَفْ

وَبَعْضُهُمْ أَعْرَبَ مُطْلَقاً وَفِي ذَا الْحَذْفِ أَيًّا غَيْرُ أَيٍّ يَقْتَفِي

وبعد استعراض هذين النموذجين يمكننا التأكيد على ما سبقت الإشارة إليه من أن مادة ابن معطي النحوية أغزر وأكثر، بينما مادة ابن مالك الأكثر تحديدا وضبطا ومَنْهجة، ففي حين انشغل ابن معطي بتفصيلات وتفريعات نحوية دقيقة، وبسط مواقف البصريين وعرض للخلاف بينهما في أكثر موضع، في هذا الحين اكتفى ابن مالك باقتصار واختصار المادة النحوية، متعمدا الإسهاب في لعضها والاقتضاب في بعضها الآخر، حسب ضوابط منهجية يبدو أنه رسمها بدقة.

وخلاصة ما يمكننا الخروج به من المقارنة النصية بين هاتين المائتين من الألفيتين تجمله النقاط التالية:

ـ أن من يستقرئ مؤلفات ابن معطي عامة ودرته الألفية خاصة وما أُعدَّ عليها من الشروح يدرك أن له شخصيته النحوية المتميزة، حيث أنه انفرد ببعض الآراء التي لم يقل بها غيره، كما أنه حجز لنفسه مكانة كبيرة بين النحاة ينحاز فيها تارة لهذا المذهب وتارة لذاك مقتنعا في كل ذلك برأي يأوي من العلمية والمصداقية إلى رأي مكين.

ـ أن المتتبع لآراء ابن مالك النحوية واختياراته خاصة في درته الألفية يدرك أنه يميل في الأغلب إلى المذهب البصري، وإن خرج عليه في بعض الأحيان متبنيا المذهب الكوفي أو مختارا رأيا جديدا فذلك قليل مقارنة مع موافقاته للبصريين وسلوكه مسالكهم، أما في بقية مصنفاته فقد كان مُتَصدِّياً للاجتهاد، معلناً بمخالفة من لم ينهض دليله عنده، لا يحاشى في ذلك من النحاة من أحد، شأنه في ذلك شأن أهل الاجتهاد المطلق.

ـ أن الدراسة المقارنة بين هذين المقطعين من الألفيتين تكفي للكشف عن أن مادة ابن معطي النحوية زادت على مادة ابن مالك ببعض التعريفات والتفصيلات الهامة، ولا يعني هذا بتاتا أن ابن مالك لم يأت بمادة نحوية غابت عن ألفية ابن معطي أو تجاهلها ابن معطي عمدا أو خطئا لكن هذا قليل إن وجد، فميزة المادة النحوية لابن مالك تتمثل أساسا في إشارته إلى الخلافات والمذاهب النحوية واللغات الشاذة وترجيح الرأي على الرأي وغيرها مما لم يذكره ابن معطي ولم يعر له بالا.

الهوامش:

[1] ألفية ابن معطي، مصدر سابق، ص:1

[1] المصدر نفسه، ص:2

[1] ألفية ابن معطي، مصدر سابق، ص :4

[1] ألفية ابن معطي، مصدر سابق، ص: 5

[1] ألفية ابن معطي، المصدر السابق، ص:6

[2] ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ص:12

[1] ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ص:13

[2] ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ص 14

[1] ألفية ابن مالك، مصدر سابق، ص:15